بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مقدمة

من بين هذه المخلوقات التى تعد بالبلايين يظهر هذا الانسان بشكل متميز جداً، وتميزه عن بقية المخلوقات يجعله عالما وحده تنطوى فيه العوالم ويبقى بعد ذلك بقية من التفرد . .

ونواحى هذا التفرد فى الانسان كثيرة نشير إلى ما يلى منها :

١ - فى خلقته : قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [التين : ٤] فما من شئ فى الإنسان إلا وقد ركب وصور على أحسن مثال وأجمله وأعدله وأكمله، قارن بين الإنسان وبين أى مخلوق آخر من حيث الخلقة تجد تشابها فى ما لابد منه للحى كحى، ثم ترى بعد ذلك أوجه التمايز : يد الإنسان تمتاز على يد أى مخلوق آخر، ولولا هذا لما كانت حضارات، وقامة الانسان وانتصاب جسمه لا يشبهه فيه غيره، وبشرة الإنسان وأعضاؤه كل ذلك فيه تميز، وهو فى الإنسان أكمل وأعدل وأجمل من الظفر إلى الشعر إلى الأنف إلى الأذن إلى الوجه إلى القدم إلى أى شئ . .

٢ - فى علمه : قال تعالى ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ [البقرة : ٣١] وقال : ﴿ **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق : ٥] فالإنسان وحده أعطى ملكة التعلم بشكل لا مثيل له عند غيره . فالمادة لا تعقل أصلا، وكذلك النبات، وعلم الحيوان محصور ضمن حدود طعامه وشرابه وسفاده، والخطر الذى يتهدده، ولا يتعلم شيئا إلا بصعوبة . أما الإنسان فيعقل ذاته ويعقل غيره، ويركب ويحلل، يعرف الأشياء، ولماذا وجدت وكيف وجدت وكيف يستفاد منها، وليعرف القوانين التى

تربط بين الأشياء أو التى تخضع لها الأشياء، وآثار علم الإنسان واضحة جلية وتميز الإنسان فى ذلك واضح جلى.

٣- فى إرادته: قال تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** ﴾ [الإنسان: ٣] أن العلم شئ سلبى، والذى يجعله إيجابيا، هو الإرادة، وكلما كانت الإحاطة فى موضوع أتم كان مجال الاختيار أوسع ولما كان الإنسان أكثر علما فهو أوسع إرادة، ومجال الإرادات أمامه أكثر وهو بالتالى يملك أكبر قدر من الإرادة. ولذلك تراه يستطيع أن يتصرف أمام الحادث الواحد بأكثر من أسلوب فإذا ظلم قد يعفو أو ينتقم وقد يكظم غيظه أو يظهره وقد يؤخر الانتقام لتسنح له الفرصة وقد يجبن. وقد يترفع وقد يسف وقد يرد بالمثل وقد يطغى وقد وقد.. مواقف كثيرة أمام الحادث الواحد، أما الحيوان فله تصرف واحد أمام الحادث الواحد على ضآلة عدد مواقفه ومحدوديتها.. وهكذا فتميز الإنسان فى صفة الإرادة واضح جلى.

٤- فى مكانته وإمكاناته: إن مكانة الإنسان فى الوجود هى السيادة، وذلك أن كل شئ مسخر له: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً** ﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [لقمان: ٢٠]. ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ [هود: ٦١] وإمكانيات الإنسان تبلغ أن تستفيد من طاقات هذا الكون. فقدرة الإنسان هائلة يكفى لمعرفة تميزها على سبيل المثال أن نذكر أن كل الحيوانات لا تستطيع أن تصنع حتى فأسا بينما صنع الإنسان الأقمار الصناعية والقنابل الذرية..

٥- فى ملكة البيان عنده: قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ** ﴾ [الرحمن: ١-٤] إن الحيوانات كلها لا تخرج من أفواهها إلا أصوات مبهمة، أما الانسان فإنه يستطيع أن يخرج هذه الأصوات وزيادة على ذلك فإنه يستطيع أن يخرج سبعا وعشرين حرفا تتركب منها مليارات الكلمات فى كل لغات العالم يتكلم بها الإنسان. فيسخر ويضحك ويبكى ويفسد ويصلح ويشعر أو ينثر ويبين عن خلجات الخاطر وإشراقة الوجدان، وقوانين الكون والسماء والأرض، ويبغى وينشد، إن تميز الإنسان فى ملكة البيان من أبرز خصائصه..

٦- **فى عقله وإدراكه وخياله وتصوره**: أن الحيوان يشترك مع الإنسان فى حواسه ولكن الإنسان يمتاز عنه إدراكا وتصورا وخيالا أرقى وأعلى. فالإنسان والحيوان يشاهدان زرقة البحر ولكن شتان بين النظرتين. فزرقة البحر ألهم بسببها الإنسان شعرا ونثرا وعلما ومتعة وتأملات وإشارات إلى أشياء كثيرة، وتضع السم للذبابة فى ماء السكر فتأكل منه وتموت وتأتى الأخرى والأخرى ويمتن جميعا ولا يخطر لواحدة منهن أن تتعظ، ترى كم إنسانا يأكل من طعام مات منه غيره ورآه؟ . .

٧- **فى استعداده الأخلاقى**: هناك أخلاق عالية وأخلاق سافلة، أخلاق راقية وأخلاق منحطة، أخلاق فاضلة وأخلاق مرذولة، والإنسان عنده استعداد لأن يتدنى فيكون أخبث الموجودات أو يتعلى فيكون مثال طهر. وعنده استعداد ليكون فى أحد حيزى الخير أو الشر أو يخلط بين الجانبين على حين الحيوان يبقى ذا خلق واحد فى الغالب، فالغل والحقد والحسد والغش والكبر والرياء والغضب والطمع والبذخ والبطر والفخر والخيلاء والصلف والمداهنة والعجب والمكر والخيانة والمخادعة والقسوة والفظاظة والجفاء والطيش وقلة الحياء وقلة الرحمة، ثم أضداد هذه المعانى كلها وأمثال هذه وهذه كثير كل ذلك، مما يمكن أن يتخلق به الإنسان ومن ثم كان استعداد الإنسان الأخلاقى سمة بارزة تميزه عن أى مخلوق آخر. .

والسؤال الآن هو: ماذا يترتب على الانسان نتيجة لهذا التفرد؟

إن القاعدة على قدر ما تعطى تطالب ضمن استطاعتك هى قاعدة هذا الموضوع، فإن الله جلت حكمته الذى سخر الكون للإنسان قد رتب على ذلك أن جعل الانسان هو المسئول الوحيد أمامه من هذه المخلوقات المرئية كلها فقال: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القيامة:٣٦] وقال: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون:١١٥] وقال: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ [الأحزاب:٧٢] فالله عز وجل جعل الإنسان بهذا التفرد خليفة فى الأرض ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ**

خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٣٩] والاستخلاف يعنى ما يلى:

١- أن المستخلف فى الملك ليس مالكا أصيلا.

٢- أن عليه أن يتصرف حسب أمر المستخلف لا حسب أمره هو.

٣- ألا يشق عصا الطاعة ويتعدى الحدود المقررة له.

٤- أن يفعل ما يريد المستخلف لا ما يريده هو.

وهذا كله يعنى أن الإنسان ليس حراً بل هو عبد لله الذى أقامه هذا المقام فى الوجود قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فسيادة الإنسان على الكون فى مقابل عبوديته لله. وما لم يعط الإنسان عبوديته لله يكون قد أقام نفسه مقام الجماد والنبات والحيوان غير المسئولين. لذلك نرى القرآن قد ألح على عدم إنسانية من لا يلتزم بطاعة الله فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤] وقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنفال: ٥٥] وقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣] وقال: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢] ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ [الجمعة: ٥] وقال: ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تتركه يَلْهَثْ ﴾ [الأعراف: ١٧٦] إن القيام بأمر الله هو وحده الذى يطلق طاقات الإنسان كلها فى طريقها الصاعد نحو الكمال، وترك أمر الله يعنى إطلاق هذه الطاقات نحو الحيوانية الحرة..

ولا يقوم الانسان بأمر الله إلا اذا عرفه حق معرفته وعرف ما يأمر به، ولا يتم للإنسان هذا إلا بمعرفة الرسول الذى يصطفيه الله للقيام بهذه المهمة، ذلك أن الله لم تقتض حكمته أن يتصل بكل إنسان على حدة ليبلغه أمره بل اقتضت حكمته أن يصطفى من الناس رسولا يقوم بهذا نيابة عنه ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٥] وفى ذلك حكم منها:

١- أن الاتصال بعالم الغيب يحتاج لأهلية خاصة واستعداد عظيم، ولم يعط كل إنسان مثل هذا ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [الأنعام: ١٢٤] إذ أن حكمة الله اقتضت ألا تجعل الناس درجة واحدة إذ لا تستقيم الحياة البشرية بذلك. فمن للمهن، ومن للحرف ومن لقضاء حاجات الناس، ومن للخدمة ومن للسيادة ومن للتبعية، إذا كان الناس على نسق واحد قال تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً** ﴾ [الزخرف: ٣٢] وكانسجام مع هذا القانون العام اصطفى الله بشرا ليكونوا رسلا ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢].

٢- إن امتحان الإنسان واختباره هدف أساسى من أهداف التكليف ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك: ٢] وامتحان الإنسان هدف آخر ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً** ﴾ [الفرقان: ٢٠]. ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأنعام: ٥٣] وانسجاما مع هذا جرت سنة الله أن يختار انسانا رسولا ليبتلى الآخرين به. إنه الاختبار العظيم الذى من نجح به تخلص من رجس الحسد، وشهوة الاستعلاء وتمحص خالصا للحق محبا له. ولأهمية ذلك نلاحظ أنه حتى الرسل امتحنوا بهذا المعنى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا** ﴾ [آل عمران: ٨١].

٣- ومن أهم ما امتحن به الإنسان تكليفه بالإيمان بالغيب الذى قام على صدق

المخبر به الدليل وهذا لا يتم إلا إذا كان بين الله وخلقه واسطة هو الرسول، هذا مع ملاحظة أن الرسل ممتحنون بشيء من هذا ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾[الشورى: ٥١] ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي** ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وإذن كانت حكمة الله أن يصطفى رسلا من البشر يعرفهم على ذاته ويعرفهم على ما يريد منهم ومن خلقه ويأمرهم أن يعرفوا الناس عليه وعلى تكاليفه لتتحقق بذلك إنسانيتهم ولتتطهر بذلك أنفسهم، وليعيشوا محققين ما من أجله خلقوا..

وهؤلاء الرسل يمثلون ذروة الكمال البشرى لأنهم يمثلون ذروة العبودية لله ويقومون بأضخم مهمة فى الوجود وهى مهمة إرشاد الإنسان إلى طريقه الصحيح، إلى الكمال بتخليصه من أدران نفسه وكل مؤثر حيوانى أو مادى أوغريب عن فطرتها، حتى تصبح ربانية ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٩] ﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥١] ﴿ **لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً** ﴾[النساء: ١٧٢] .

وبعد: كيف نعرف نحن بقية البشر رسل الله؟ إن معرفة الرسول واتباعه يترتب عليها هدايتى واستحقاقى ثواب الله بينما جهلى وكفرى به حال وجوده ودعوته لى يترتب عليها بقائى على ضلالى واستحقاقى عذاب الله فى الدنيا والآخرة لذلك كان مهما جدا أن أعرف كيف أهتدى إلى الرسول، وبدون معرفة هذا قد يلتبس على الأمر فأعتبر غير الرسول رسولا فأضل أو أجهل الرسول فأعذب ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [الإسراء: ١٥] ..

لذلك فقد جعل الله للرسل علامات يعرفون بها. هذه العلامات هى:

١- **الصفات الشخصية لصاحب الرسالة**: فليس من المعقول أن يكون الرسول

كذابا إذ أن الكذاب لا يصدق فى الأمور العادية فضلا عن مثل هذه القضية الكبرى فالأخلاقية العالية سمة لابد منها لإنسان مرسل من عند الله ليطهر البشر من كل شر ويدله على كل خير. فإذا ما كان شريرا تظهر عليه صفات الأشرار فأنى يجعله الله محل دعوته، كما أنه ليس من المعقول أن يكون أبلها أو غير ذكى إذ المغفل أو عادى الذكاء لا يسلم له الناس عقولهم ولا يستطيع هو أن يقنع هذه العقول، ومهمة الرسول لا تقوم إلا إذا كان أكبر الناس عقلا وفطنة كى يستطيع إقامة الحجة على الناس، كما أنه ليس من المعقول أن يدعو الرسول الى شئ ويكون سلوكه مخالفا لما إليه يدعو. فهو يدعو الى طاعة الله فليس من المعقول أن يعصيه ويدعو إلى ترك معصيته فلا يعقل ألا يطيعه إذا كان صادقا. فينبغى إذن أن يكون مظهرا كاملا للطاعة وترك المعصية. كما أنه ليس من المعقول أن يرسل رسولا ولا تكون عنده إمكانية تبليغ الرسالة المكلف بها إلى أصحابها. وبدون هذا لا تقوم الحجة على الناس وهذا يحتاج إلى شخصية فذة عظيمة. إذ دعوة الرسل ليست كغيرها من الدعوات التى ترضى شهوات البشر، بل هى دعوة مهمتها كبح جماح النفس البشرية وعلى هذا فأمام عملية التبليغ عقبات ومخاطر وصعوبات واضطهاد لا يصبر عليها إلا صادق مع الله. ثم الرسول هو قدوة البشر فى طريقهم إلى الله، فلابد أن يكون أرقى البشر فى كل جانب من جوانب الحياة وعنده دائما الحل الأمثل للبشر.

٢- المعجزات: والمعجزات هى الأمر الخارق للعادة الذى يظهر على يد الرسول أو النبى. وهى علامة على الرسالة لأنها تخرج من عالم الأسباب كلها، بحيث يعجز الإنسان كإنسان أن يأتى بها وذلك أن قدرة الإنسان محدودة ضمن قوانين الكون، وقدرة الله وحدها هى المطلقة، فكون الرسول تظهر معه آثار القدرة المطلقة فذلك دليل على أن له صلة مع الله. ويخلط الناس عادة بين المعجزة التى هى علامة رسالة الرسول وبين السحر وآثار الرياضة الروحية، والذى نحب أن نقرره هنا هو أن السحر والشعوذة نوعان من العلوم التى تخضع لقوانين هذا الكون وإن كانا مجهولين إلا للقليل من الناس ولكن أى إنسان تعلم علم السحر يستطيع أن يفعل ما يفعل وكذلك فيما يتعلق بآثار الرياضة الروحية، فلعالم الروح قوانينه التى من اكتشفها قد

تظهر معه بعض آثارها ولكنها ما خرجت عن كونها من الأسباب العادية إذ أن أى إنسان يستطيع أن يفعل ما فعلوه إذا سلك نفس طريقهم. أما المعجزة فلا علاقة لها بعالم الأسباب أصلا فليست كأثر عن علم أو تجربة أو قانون إذ من شروط المعجزة ألا يستطيع أحد من البشر أن يأتى بها.

إن المعجزة تكون بقدرة الله الذى يقول للشيء كن فيكون. إن عيسى عليه السلام كان يبرئ الأبرص وقد يشفى البرص على يد طبيب ولكن الفارق بين الحالتين أن ذلك بقدرة الله وهذا بمعرفة القوانين التى بثها الله بالكون. إن الإنسان يستطيع بذكائه وإمكانياته أن يستخرج الماء من أعماق الأرض أو أن يركب بالوسائل المعروفة من الأوكسجين والهيدروجين ماء، ولكن الفارق بين الماء المستخرج والمصنوع، وبين الماء الذى خرج بضرب عصا موسى أو نبع حيث وضع محمد ﷺ أصابعه كالفارق بين صنع الله وصنع الإنسان، صنع الله بكلمة كن وصنع الإنسان بالعمل والجهد والآلة والفكر والعلم والأسباب وربط القانون بالقانون، وهكذا استطاع الإنسان أن يجاوز سطح الأرض، ويسير بالفضاء، ولكن الفارق بين هذا وبين عروج محمد رسول الله إلى السماء كالفارق بين كل ما صنع الله وصنع المخلوق، العروج كان بكلمة الله وصعود الإنسان الى هذا الفضاء، كان بالارتقاء بالأسباب. فالمعجزة إذن لا دخل لأى سبب كونى فيها سواء أكان روحيا أو ماديا أو أى شئ آخر. ومن هنا كانت ذات دلالة كاملة على أن صاحبها رسول الله..

٣- **النبوءات**: النبوءة هى الإخبار عن المستقبل وكون وقوعها دليلا على صحة دعوى الرسالة يعود إلى أن علم الإنسان محدود بالزمان الحاضر والماضى ومحجوب عن المستقبل، والله وحده ذو العلم المحيط بكل زمان ومكان، وما كان ويكون، فكون الرسول يخبر عما سيكون ويقع كما أخبر، فذلك دليل على أن له صلة بالله، وكما أن المعجزة تخرج عن عالم الأسباب حتى تصلح دليلا، فكذلك هنا المقصود بالإخبار عن الغيب مما ليس له علاقة بنتائج تترتب على مقدمات أو توقعات دلت عليها طوالع، فهذا يستطيعه كثير من الناس بما أوتوا من حكمة وحنكة وخبرة ومعرفة وتجربة..

٤- **الثمرات**: إن ثمرات الرسول تدل عليه من انسجام دعوته مع قواعد

الفطرة، الى الاخلاقية العظيمة التى تظهر على أتباعه، كأن يحكم الحق القوة، ويظهر الوفاء على الغدر، وإن كان فى الغدر منفعة وتصبح نفس الإنسان منضبطة انضباطا كاملا بالخير، فيؤدى الحقوق ويقيم الواجبات ويعيش لله وبالله عادلا فى دنياه حريصا على آخرته، تفجرت طاقاته كلها، وسارت فى طريقها الصحيح، فنمت ملكاته العليا كلها وانضبطت ملكاته الدنيا جميعا. إن ثمرات دعوة الرسول تختلف اختلافا جوهريا عن ثمرات أى دعوة أخرى حتى لتكاد الفطرة تحس بحدسها إذا رأت ثمرات النبوة أن سبب هذه الثمرات لابد أن يكون وراءه عناية ربانية خاصة..

٥- **البشارات**: إن الأنبياء كلهم رسل الله الواحد الأحد، وقد يأمر الله الرسول السابق أن يبشر برسول لاحق فتكون نبوءة للأول وتمهيدا للثانى. وليس هذا شرطا فى كل رسالة ولكنه متوقع وجوده ومتأكد حصوله وقد يذكر بالبشارة اسم الرسول اللاحق أو صفاته أو كلاهما والبشارة يستأنس بها إذا وجدت بقية العلامات..

فهذه علامات خمس يتمم بعضها بعضا نتعرف بها على صدق مدعى الرسالة ونمتحن كل رسالة بها..

قدمنا هذا الكلام بين يدى الأبواب الخمسة التى لها علاقة بهذه القضايا الخمس والتى نتحدث بها عن رسالة النبى العربى محمد ﷺ وثبوتها. هذه الرسالة التى ختم الله بها النبوة ﴿ **وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ونسخ بها كل شريعة سابقة وكلف الإنسانية كلها بها، بحيث لا يستحق أحد رحمته إلا إذا التزم بها، ومن لم يلتزم بها استحق عذابه. وتم بها انتقال الرسالة من طور القومية إلى طور الإنسانية الشاملة، إذ أن رسل الله قبل محمد كانوا يبعث الواحد منهم الى قومه خاصة. وبعث محمد إلى الناس عامة. فأصبحت الإنسانية كلها ببعثته ملزمة بشريعة واحدة هى شريعته وليس أمام أحد من البشر خيار سوى سلوك الطريق الذى هدى إليه وإلا فإنه يكون من الضالين. ولما كانت هذه الرسالة لها مثل هذه الأهمية. جعل الله عزوجل فيها ومعها من واضحات الأدلة ومشرقات البراهين الكثير الكبير بحيث لا يبقى معه حجة لمحاج أو شبهة لأحد.

هذه الأبواب الخمسة. ستجد إن شاء الله فى كل واحد منها ما يؤكد لك هذا

المعنى بشكله الكامل بحيث لا تشك معه أن محمدا رسول الله وأنه لا عذر لأحد كفر به أو أعرض عن شريعته.

وهذه الأبواب الخمسة على الترتيب التالى:

الباب الأول: الصفات.

الباب الثانى: المعجزات.

الباب الثالث: النبوءات.

الباب الرابع: الثمرات.

الباب الخامس: البشارات.

وبذلك ينتهى المبحث الثانى من مباحث هذا الكتاب ليبدأ المبحث الثالث وهو الإسلام دين الله وشريعته التى بلغنا إياها رسوله ﷺ وبذلك نكون قد عرفنا المكلف وهو الله فى المبحث الأول والتكليف وهو الإسلام فى المبحث الثالث ومبلغ التكليف والقدوة فيه وهو الرسول فى المبحث الثانى وهو هذا فإلى الباب الأول من هذا المبحث.

* * *